مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 05 / العدد: 02 / (2021)، ص339–348

النحو التعليمي في ألفية ابن مالك
Educational grammar in "ALFIYAT" Ibn Malik

مبروك حاسني *
hasni.mebrouk@univ-ghadaia.dz
مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب
جامعة غرداية
(الجزائر)

د. بلقاسم غزيل
ghezail.belkacem@univ-ghardaia.dz
جامعة غرداية
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2021/06/21 تاريخ القبول:2021/08/22 تاريخ النشر:2021/12/02

الملخص:

يُعدّ النحو منذ القدم الشغل الشاغل لمعلمي اللغة العربية؛ فهو من أكثر الفنون صعوبة، وفي الوقت ذاته هو من أهمّها، و قد حاول الكثير من علماء اللغة المحدثين أن ييسروا النحو ليصبح مناسبا للمتعلمين، و ليتحقق الهدف منه؛ وهو تقويم لسان المتعلم، وعصمته من الوقوع في اللّحن والزلل، ولذلك لجأ جُلُّهم إلى تقسيم النحو إلى قسمين؛ نحوٌ تعليميّ تربوي، و نحوٌ علمي؛ و جعلوا الأول خاصاً بالمبتدئين المتعلمين، و الثاني للمتخصصين. لكن رأينا أن هذا الأمر قد نبّه إليه الأقدمون، فحاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نكشف عن النحو التعليمي في منظومة الألفية لابن مالك، ومدى التزامه بما جاء به النحو التعليمي الحديث من شروطٍ و آلياتٍ تساعد متعلمي النحو على فهمه، و تطبيق المراد منه، كما تسهل على معلميه الوصول إلى المبتغى بأيسر الطرق و السبل.

الكلمات المفتاح : نحو، تعليمي، ابن مالك، ألفية

Abstract:

grammar is a difficult preoccupation since the past for the arabic language teachers , so, it is one of the most difficult art. At the same time it is one of the most important, and most of the modern linguists have tried to facilitate grammar and becames suitable for the learners and reach the objective which is evaluating the learner' s tangue and his infallibility in falling into melody and slippage.Therefore most of them resorted to dividing grammar into two parts; grammar educationland scientific grammar and made the first one for educated bigginers, but we have seen that this matter had been altered by the ancients. So we through this research paper we turned to reveal the didactic grammar in the **""ALFIYAT"** Ibn Malik and the extent of his commitment to what modern

*المؤلف المرسل.

grammar has provided in terms of conditions and mechanism that help learners of grammar understand it and the intended application of it. It also the easiest way.

مقدمة

إنّ الحديث عن نحوٍ تعليميٍّ خاصٍ بالمتعلمين، و نحوٍ علميٍّ خاصٍ بالمتخصصين لم يظهر إلا عندما احتدم الخلاف في المسائل النحوية، و غصّت كُتب النحويين بالعلل الفلسفية، و الآراء المذهبية التي أوقعت المبتدئين في متاهاتٍ لا يكادون يفقهون بعدها شيئاً.

إنّ ما ذُكر من مصاعبَ حَملَ بعض النحويين على تجاوزها ووَضْعِ كُتبٍ و متونٍ و منظومات نحوية موجهة للمبتدئين وهي مختصرة، سهلةً، متعديةً تلك الخلافات.

من بين النّحاة الذين تداركوا الأمر و راحوا ينظمون منظومات موجهة للمتعلمين النحوي الأندلسي المولد والنشأة **جمال الدين مُحَمَّد بن مالك**، و قد نظم منظومته المسمّاة " **الخلاصة الألفية**" و هي خلاصةٌ بحقٍ، فقد جاءت خاتمة ملخصة لِمنظومته " الكافية الشافية" و قد كَتب الله لهذه الألفية الذيوع و الانتشار في مختلف ربوع العالم العربي، وعبر كلّ العصور، و أصبحت مورداً لطالبي تَعلُّمِ النحو و قاصدي عِصمة لسانهم من اللّحن والزلل.

و الإشكالية التي نسوقها ها هنا متداخلة نوجزها فيما يأتي:

- هل شُهْرة منظومة الخلاصة الألفية لابن مالك و إقبال المتعلمين عليها على مَرّ السنين يرجع لكونها تصنف ضمن ما يسمى بالنحو التعليمي؟
- ما هي خصائص النحو التعليمي و شروطه؟ و هل ابن مالك كان قد التزم في منظومته هاته الخصائص و الشروط التي وضعها المحدثون للنحو التعليمي؟

و إجابة على هذه الإشكالية قسّمنا ورقتنا البحثيه هاته إلى عناوين عريضة و هي: مقدمة، النحو التعليمي، ابن مالك و ألفيته، و النحو التعليمي في ألفية ابن مالك، و خاتمة ، وهدفنا أن نقف على النحو التعليمي في هذه المنظومة.

01- النحو التعليمي:

1-1- تعريفه:

تطرّق بعض المحدثين العرب خاصة أولئك الذين تأثروا باللسانيات الغربية الحديثة لتعريف النحو التعليمي و بعض شروطه، فعرفه الدكتور أحمد حساني بقوله " هو تلك الآليات والعلاقات الوظيفية التي تساعد معرفتها لدى المتكلم العربي و غير العربي على امتلاك الكفاية الذاتية لاستخدام جميع البنى التركيبية بطريقة آلية قياسية و إبداعية في الوقت نفسه"[1]، أي أنّه نحو الهدف منه هو اكتساب الكفاية الذاتية الشخصية التي تمكّن المتكلم من استخدام مختلف الجمل والتراكيب .

و يرى عبده الراجحي أن النحو التعليمي هو ذلك العلم الذي يأخذ مادته من الوصف الذي توصّل إليه علم النحو ثم يعدّلها طبقا لأغراض التعليم، و يخضعها لمعايير أخرى تستعين بعلم اللغة النفسي في

السلوك اللغوي عند الفرد، و بعلم اللغة الاجتماعي في الاتصال اللغوي، و بعلوم التربية في نظريات التعلم و إجراءات التعليم[2]، أي أنّه لا يهتم بالمادة التعليمية فقط بل تُراعى فيه مختلف جوانب المتعلمين كالجانب النفسي و الاجتماعي وغيرهما.

و النحو التعليمي ليس وليد الفكر الحديث و الحضارة الجديدة، بل فكّر فيه علماء اللغة العرب منذ القدم، وهذا ما نفهمه من قول الجاحظ " و أما النحو فلا تشغل قلبه به –أي الصبي– منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، و شعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به، ومذهل عمّا هو أرد عليه منه من رواية المثل و الشاهد، و الخبر الصادق، و التعبير البارع، و إنما يرغب في بلوغ غايته و مجاوزة الاقتصار فيه، و الاستنباط لغوامض التدبر، ولمصالح العباد و البلاد، و العلم بالأركان و القطب الذي تدور عليه الرّحى، ومن ليس له حظ غيره، ولا معاش سواه. وعويص النحو لا يجري في المعاملات و لا يضطر إليه شيء"[3] .

و للنحو التعليمي تسميات عدّة منها النحو التربوي، و النحو العملي، و النحو الوظيفي...

1-2- أهم خصائصه:

للنحو التعليمي سمات يتميز بها، ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن نستنتج بعض خصائصه ومنها:

- **أنّه يهتم فقط بما ينمّي الكفاءة اللغوية:** و هذا ما أشار إليه الجاحظ و أحمد حساني؛ والمقصود بهذا أن لا نعرض على المتعلم في بداية تمدرسه بعض الخلافات النحوية و بعض العلل الفلسفية التي لا تفيده في شيء، بل نكتفي فقط بتلك القواعد البسيطة التي يتمكّن من خلالها بتقويم لسانه.

- **أنّه يراعي بيئة المتعلمين وخصائصهم المرحلية:** و هذا ما نأخذه من قول الدكتور عبده الراجحي، إذ لا يمكن أن نضع نحوا تعليميا بمعزل عن المتعلم و ما يحيط به، فلابُدّ أن نرجع إلى كل العلوم التي تهتم بتعليم اللغات كاللسانيات التطبيقية و نظريات التعلم و علم اللغة الاجتماعي، و التي تهتم بالجوانب النفسية و الفيزولوجية و الاجتماعية للمتعلمين كعلم النفس التربوي .

- **أن يكون هادفاً مختصراً:** أي بعيدا عن التأويلات الفلسفية و التعليلات البعيدة والخلافات المتشعبة التي لا تزيد المبتدئ إلا متاهة، ولا تنفعه في البداية في شيء.

و لم تكن مشكلة تعليم النحو خاصة بالنحو العربي، و لا النحو التعليمي قضية حبيسة عليه، بل قد أشار إليه لغويون غربيون أمثال العالم اللساني تشومسكي و قد حدّد خصائصه

و قد تطرق إليها العالم اللساني تشومسكي و فصلها و هي:

أ- هو نمط خاص يتكون من مادة مختارة من النحو العلمي المفصل طبقا لمعايير تتوخى السهولة و الفائدة العلمية.

ب- يقدّم عرضا مباشرا للبنية السطحية، مع الإفادة في الوقت نفسه من الرؤية التحويلية.

ت- يحذف قدرا كبيرا من المعلومات التفصيلية كي يناسب الاستخدام الصفي[4] .

و هذه الخصائص التي ذكرها تشومسكي هي نفسها التي دعا إليها علماؤنا، فمن خصائصه عنده أنّه منتقى من النحو العلمي بمعايير تتوخى السهولة و الفائدة وهذا نفس ما دعا إليه الجاحظ و الدكتور أحمد حساني أي أن نكتفي في النحو التعليمي بما هو سهل و له فائدة مباشرة على المتعلمين.

و ذكر كذلك- أي تشومسكي- من بين خصائص النحو التعليمي أنّه يقدّم عرضاً مباشرا للبنية السطحية، مع الإفادة من الرؤية التحويلية، وهذا ما دعا إليه ابن مضاء من خلال إلغاء العلل الثواني والثوالث بقوله" و مما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني و الثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا (قام زيدٌ) لمَ رُفع؟ فيقال لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول ولمَ رفع الفاعل؟ فالصواب أن يُقال له: كذا نطقت به العرب. ثبث ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر، ولا فرق بين ذلك و بين من عرف أن شيئاً حرام بالنص، ولا يُحتاج فيه إلى استنباط علة، لينقل حكمه إلى غيره، فسأل لمَ حرّم فإن الجواب على ذلك غير واجب على الفقيه"[5]، أي أننا نكتفي بالعلل الأولى التي تقدم عرضاً مباشرا للبنية السطحية كقولنا لأنّه فاعل أو لأنّه مفعول به، ونترك العلل الأخرى للمتخصصين و المتضلعين في النحو.

و الخاصية الثالثة التي ذكرها أنه يحذف قدراً كبيرا من المعلومات لتناسب الاستخدام الصفي و هذا الذي تطرّق إليه عبده الراجحي عندما دعا لمراعاة الجوانب النفسية والاجتماعية للمتعلمين عند وضعنا للنحو التعليمي.

و من الغربيين الذين تطرّقوا إلى معايير وخصائص النحو التعليمي الباحث ميشيل صوان في دراسته التي قدمها بعنوان " و ضع معايير قواعد النحو التعليمي" حيث حدد معايير لقواعد النحو التعليمي و هي: صحيحة، محددة، واضحة، بسيطة، البخل المفاهيمي و مألوفة[6].

و هذه المعايير التي وضعها ميشيل نفسها التي ذكرناها سابقاً، فاشترط أن تكون معايير النحو التعليمي، صحيحة أي خالية من الخطأ موضوعة بدقة، و محددة أي أن لا تكون قابلة للزيادة والنقصان، واضحة أي أن لا تكون غامضة تضع المتعلم في متاهاتٍ، بسيطة أي تتماشى و قدرة المبتدئ، تتميز بالبخل المفاهيمي و يقصد بهذا الاختصار غير المخل.

و إن الحديث عن النحو التعليمي يسوقنا للحديث عن نحوٍ آخر يقابله و يختلف عنه، و هو النحو العلمي، و من الذين أشاروا إلى الفرق بين هذين النحوين الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في مقال له بعنوان" النحو العلمي و النحو التعليمي و ضرورة التمييز بينهما فيقول: " .... فهذا في الواقع تخليط بين ميدانين مختلفين تماماً : فالأول يشمل الدراسة العلمية لكل ما يحيط بالإنسان و الإنسان نفسه بما في ذلك اللغة كظاهرة و نظام أدلة ولا ينكر ذلك إلا معاند.. و أما الثاني فيدخل فيه تعليم اللغة و اكتساب المهارة في استعمالها ، ومن ذلك ما سمّيناه قديما النحو التعليمي في مقابل النحو العلمي"[7].

إذن ، فالنحو العلمي هو الذي يشمل الدراسة العلمية أي يبحث في الظواهر اللغوية و ما يحيط بها و في العلل المختلفة و القياس وغيرها ، والنحو التعليمي شيء آخر ونمط خاص، يتكون من مادة تربوية مختارة على غرار أسس ومعايير موضوعية ، تراعي أهداف التعليم، وحاجات المتعلمين ، وظروف العملية التعليمية.

فما **نستنتجه** من كل ما ذكرناه أن **النحو التعليمي** نحوٌ يوضع للمتعلمين خاصة، فلابد أن يراعي كل ما يحيط بهم من بيئة اجتماعية، وحالة نفسية، و أن يكون خالٍ من التعقيدات والتأويلات الفلسفية التي قد تضع المتعلم في متاهة يصعب عليه معها إدراك المراد و اكتساب المهارات اللغوية المرجوة. أمّا **النحو**

العلمي فله أهميته ولكنّه موجه لذوي الاختصاص الذين تجاوزوا مرحلة التعليم؛ و بفضله يستطيعون أن يغوصوا في أعماق اللغة، و يكتشفون أسرار العربية التي قد تتجاوز مجرد الوصول للنطق الصحيح السليم.

02- ابن مالك و ألفيته

2-1 ابن مالك نسبه ومولده:

ابن مالك شهرته أغنت عن التعريف به، وقَلّ ما تجد أحدا تعرّض للنحاة إلاّ و عرّف به.

و هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك، الطائي الأندلسي الجياني المالكي ثم الدمشقي الشافعي النحوي اللغوي، إمام النحاة و حافظ اللغة، ولد سنة 600هـ، وقيل سنة 595هـ و قيل: سنة 601هـ و قيل غير ذلك، و أول الأقوال أظهرها، إذ لا تجد أحداً ذكر سنتين إلا كانت الأولى إحداهما. ولم يختلف في أن ولادته بجيّان من بلاد الأندلس التي تلقى فيها علومه و معارفه الأولية[8].

2-2 الألفية:

3-1- تعريفها

الألفية هي أرجوزة من ألف بيت من الشعر التعليمي، تتضمّن قواعد من العلوم الدينية أو العربية، و أشهر ما عرف منها، ألفية ابن معطي، و ألفية ابن مالك، و ألفية السيوطي في النحو والصرف و ألفية العراقي في علم الحديث[9].

و يعرفها صالح بلعيد بقوله: " الألفية هي مصطلح عددي لمجموعة ما، عددها أو قيمتها ألف، و هي عشر مئات، جمع ألوف و آلاف، و الألفية في النحو العربي؛ هو ذلك العمل النحوي المشهور الذي قام به ابن مالك الأندلسي الجياني الطائي، ملخصا النحو العربي في أرجوزة من ألف بيت، و سمّاها البعض الخلاصة، و جاء ذلك في بداية الألفية:

وَ أَسْتَعِينُ اللهَ في أَلْفِيَّه **** مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْويه"[10].

2-2- أبوابها:

لقد اشتملت الألفية على ثمانين من بين باب و فصلٍ دون المقدمة والخاتمة ، يقول ممدوح عبدالرحمن " و تضّم الألفية باستثناء المقدمة و الخاتمة أبواباً و فصولاً كثيرة بين القصير و الطويل، تبلغ عدة هذه الفصول ثمانين، أولها باب الكلام و ما يتألف منه و آخرها باب الإدغام، و تمتاز الألفية بترتيب فصولها و أبوابها و هو الترتيب المثالي لأبواب النحو و الأكثر ملاءمة لدراسته، كما تمتاز الألفية بأن ابن مالك عدل فيها عن آرائه السابقة و أثبت ما يرى صحته.."[11].

كما أن ألفية ابن مالك لم تقتصر على أبواب النحو فقط بل تعدتها إلى بعض أبواب الصرف التي رأى المؤلف أنها مهمة، و قد تحدث عن أبنية الكلمة و مشتقاتها كاسم الفاعل و الصفة المشبهة....و في الوقت نفسه نجده قد تخلى عن بعض أبواب النحو على سبيل المثال باب الجمل التي لها محل من الإعراب.

03- النحو التعليمي في ألفية اين مالك:

إن المطّلع على ألفية ابن مالك و الدارس لها يُدرك أنها جاءت للتعليم، و هي موجهة للمتعلمين بعيدة عن التعقيدات و الخلافات و هذا من خلال اعتمادها على :

3-1- الاختصار

فقد ابتعدت هذه المنظومة عن الإطناب و الطول وهذا ما أقره فيها في مقدمة أبياتها حيث قال:

تُقَرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ *** وَ تَبْسُطُ الْبَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَزٍ[12]

وقد علّق ابنه بدر الدين عند شرحه للبيت السابق بقوله: "إن هذه الألفية مع أنها حاوية المقصد الأعظم من علم النحو؛ لما فيها من المزية على نظائرها أنها تقرب إلى الأفهام المعاني البعيدة بسبب وجازة اللفظ، وإصابة المعنى وتنقيح العبارة، وتبسط البذل؛ أي: توسع العطايا لما تمنحه من الفوائد لقرائها، واعدة بحصول مآربهم، وناجزة بوفائها"[13]

ومن أمثلة الإيجاز عنده عندما ذكر بعض مسوغات الابتداء بالنكرة و أمر بالقياس نحو قوله:

ولا يَجُوْزُ الابْتِدَا بِالنّكِرَه ***** مَا لَمْ تُفِدْ: كَعِنْدَ زيدٍ نَمِرَه

وهل فتى فِيْكُمْ؟ فما خِلٌّ لنا**** و رَجُلٌ مِنَ الكِرَامِ عِنْدَنَا

وَ رَغْبَةٌ فِي الخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلْ **** بِرٍّ يَزِينُ، و لْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ[14]

فذكر ابن مالك أمثلة عن مواضع لمسوغات الابتداء بالنكرة وهي: (عند زيد نمرة، هل فتى فيكم، ما خلّ لنا، رجل من الكرام عندنا، رغبة في الخير خير، عمل برّ يزين " و اقتصر على ستة مواضع، و قال: "وليقس ما لم يقل"؛ أي على ما قيل ما لم يقل: أي من بقية أنواع المسوّغات ، وقد أوجز في هذه الجملة الأخيرة ما يكفي لحشو عشرة أبيات أو أكثر و هو ما لم يفعل في مواضع كثيرة من النظم و قد أوصل الشرّاح عدد المسوغات إلى ثلاثين مسوغاً[15]، أي أنّ مسوغات الابتداء بالنكرة تصل إلى ثلاثين موضعاً و لكن الناظم أوجز بذكر ستة منها وطلب القياس عليها، و هذا من باب الإيجاز والاختصار.

و الخلاصة الألفية في أصلها ما سميت خلاصة إلا لأنها جاءت كاختصار لما جاء في الكافية الشافية؛ فهاته الأخيرة حوت تقريباً ثلاثة ألف (3000)بيت، فلما رأى ابن مالك ما فيها من طول و حشوٍ عَمد إلى إيجازها فألف هذا النظم المسمى الخلاصة الألفية ، و قد أشار إلى ذلك في آخر أبياتها بقوله:

و ما بِجَمْعِهِ عُنِيتُ قَدْ كَمَلْ **** نَظْماً عَلى جُلِّ المُهِمّاتِ اشْتَمَلْ

أَحْصَى مِنَ الكَافِيَةِ الخُلَاصَهْ**** كَمَا اقْتَضَى غِنًى بِلَا خَصَاصَه[16]

3-2- اعتماد النظم

فلجوء ابن مالك إلى النظم في حدّ ذاته هو تسهيل على المتعلمين، لأنه أسهل لهم للحفظ، ولم يَعمد لأي بحرٍ من البحور الشعرية، بل اختار الرجز كونه الأنسب و الأقرب إلى نظم مثل هذه القواعد النحوية، و قد كانت الأراجيز منذ القدم وسيلة يلجأ إليها قاصدي تعليم الصبيان؛ و هذا ما ذكره الجاحظ في البيان بقوله " كانوا يرّوون صبيانهم الأرجاز، و يعلمونهم المناقلات، و يأمرونهم برفع الصوت و تحقيق الإعراب"[17] .

فموسيقى الشعر و قوافيه تساعد الطلاب على حفظه، و إضافة إلى ذلك تنمّي لذيهم الملكة الشعرية، و تُسهم في تقويم لسانهم و تعصمهم من الوقوع في الأخطاء.

يقول ممدوح عبد الرحمن " و الحقيقة أن استعمال النظم وسيلة للتيسير عند كل من ابن مالك و ابن معط هو طريقة تربوية تشبه الأساليب التربوية الحديثة ...."[18].

3-3- ترتيب الأبواب ترتيباً محكماً

لقد اتّبع ابن مالك في هذه الألفية ترتيبا محكما لأبوابها، فقد بدأ بالأمور العامة؛ كتعريف الكلام، و المعرب والمبني و غيرهما، ثم انتقل إلى أبواب متفرقة ؛ و هو يراعي علاقة بعضها ببعض، و قد خالف في ذلك سابقيه في هذا الترتيب.

3-4- اللغة السهلة و البسيطة في جُلِّ الأبيات

فقد تخلى ابن مالك عن تلك اللغة الخشنة التي قد يعسر على المتعلم إدراكها؛ و قد سلك ذلك في الأحكام و في الاستشهاد، فانظر مثلا إلى قوله:

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ**** وَ اسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الكَلِمْ[19]

وهذه السلاسة ميزته عن من سبقه من النحاة" وقد اتسمت المؤلفات النحوية قبل عصر ابن مالك بالصعوبة والتعقيد، و هجر المألوف من المصطلحات و الصيغ، أما بعد ابن مالك فقد مالت إلى السهولة نظرا لما أصبح يعانيه الكثير من الطلبة من عدم فهمهم للمعاني الصحيحة التي يرمي إليها مؤلفو الكتب النحوية، فقد كان على النحاة أن يجدوا سبلا أخرى تمكنهم من طرح أفكارهم ، دون أن يتعرضوا للنقد ، بسبب الغموض و الإبهام اللذين تعاني منهما مؤلفاتهم"[20] .

انظر مثلا لما تحدث عن أسماء الإشارة بقوله:

بِذَا لِمُفْرَدٍ مُذَكَّرٍ أَشِرْ**** بِذِي وَذِهْ تِي تَا علَى الأُنْثَى اقْتَصِرْ[21]

و هنا تطرق إلى أسماء الإشارة الخاصة بالمفرد المذكر، و المفرد المؤنث، بلغة سهلة بسيطة، وبأسلوب سلسل و موجز؛ وهي ذا للمفرد المذكر وحده ، و ذي، ذِه، تي و تا للمؤنث المفرد خاصة

مثال آخر عن البساطة في اللغة وهو يشير إلى عمل كان و أخواتها بقوله:

تَرْفَعُ كَانَ المبْتدَا اسْماً وَ الْخَبَرْ **** تَنْصِبُهُ كَكَانَ سَيِّداً عُمَرْ [22]

ففي بيتٍ سهلٍ أشار إلى عمل كان و أخواتها، و أحضر مثالاً بسيطاً.

و **تعقيباً** على هذا فصحيح أن جُلّ لغة ابن مالك في ألفيته كانت سهلة، و لكن لا تخلو بعض أبياته من صعوبة اللفظ التي يستعصي فهمها على المبتدئ دون الرجوع إلى الشروح، و إنّ كثرة شروح الألفية والحواشي على هذه الشروح لدليل كافٍ على هذا ، فانظر مثلاً قوله:

أَمَّا كَمَهْمَا يَكُ مِنْ شيءٍ وَفَا**** لِتلْوِ تِلْوها وجوباً أُلِفَا[23]

و كقوله :

و إِنْ تُرِدْ جَعْلَ الأقلِّ مثلَ ما **** فَوْقُ فَحكمَ جاعلٍ له احْكُما[24]

فمِثل هذين البيتين يستعصي على المبتدئ فهمهما ما لم يرجع إلى الشروح، ولكن في الغالب يرجع هذا الغموض لقيود النظم و لرغبة الاختصار، و إن كان لذلك أثر سلبي على المتعلم.

3-5- الأمثلة اليسيرة المألوفة

فابن مالك اعتمد في ألفيته أمثلة يسيرة، يفهمها المتعلم المبتدئ دون عناء، فلم يَعمد إلى تلك الشواهد العسيرة التي تحمل العبارات الشاذة و الألفاظ الغريبة.

الفَاعِلُ الذِي كَمَرْفُوعَيْ أَتَى **** زَيْدٌ مُنِيراً وَجْهُهُ نِعْمَ الفَتَى[25]

و قد أورد هنا و هو يتحدث عن الفاعل أمثلةً بسيطة وهي " أتى زيد، منيراً وجهه، نعم الفتى"

مُبْتَدَأٌ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبِرْ **** إِنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنْ اعْتَذَرْ[26]

فأورد هنا مثالا عن المبتدأ و الخبر " زيد عاذر" و هو مثال سهلٌ يسير في متناول قاصدي التعلم.

3-6- الابتعاد عن ذكر الخلافات النحوية و الآراء المتضاربة إلا قليلاً

فابن مالك تخلى عن ذكر مواطن الخلافات النحوية " ولم يشحنها بها لأن المسائل الخلافية تشتت ذهن الطالب، خصوصاً إذا كثرت، و تحول دون ضبطه لأصل المسألة، و تركها أجمع لذهن الطالب و أيسر عليه"[27].

و ما ميّز نحاة الأندلس عامّة و ابن مالك على وجه الخصوص أنّهم تخيّروا لأنفسهم مذهباً دون المذاهب ، فلا تراهم يتعصبون لمذهب من المذاهب " و قد تميّز ابن مالك بمنهج نحويّ على غرار نحاة المغرب و الأندلس الذين نبغوا في هذا الميدان، و الذين اتبعوا سبيل الانتقاء ، و قد كان ينتقي من الآراء ما كان يرى أنها الأصلح، ولا يهمّ إذا كانت بصرية أم كوفية أم غيرها"[28].

و هذا ما أكسب هذه المنظومة شهرةً " و قد تميّز بنظم ألفيته التي سمّاها " الخلاصة" و التي جمع فيها قواعد النحو والصرف، الذي طالما اشتكى منه دارسوه ومعلموه و نفروا منه و من تعقيداته، فحاول ابن مالك أن يأتي بمنهج جديد يسهّل عليهم درسه و استيعابه، فألف منظومته التي تركت أثراً واضحاً في الكثير من النحاة ، ومن خلال هذه الآراء حاول أن يأتي بالجديد بعيداً عن تكرار ما قاله القدامى "[29].

و**لكن** نجد أنّ ابن مالك في هذه المنظومة في بعض الأحيان يشير إلى بعض الآراء الخلافية وإن كانت قليلة مقارنة بالمسائل التي لم يتعرض فيها لهذه لخلافات، ومن أمثلة هذا قوله في باب التنازع في العمل :

إنْ عَامِلَانِ اقْتَضَيَا فِي اسْمٍ عَمَلْ **** قَبْلُ فَلِلْوَاحِدِ مِنْهُمَا العَمَلْ

و الثَّانِ أَوْلَى عِنْدَ أَهْلِ البَصْرَه ***** و اخْتَارَ عَكْساً غَيْرُهُمْ ذَا أَسْرَهْ[30]

و قد أشار هنا إلى أنّ في مسألة التنازع في العمل خلافا بين البصريين و غيرهم.

3-7 التنوع في طرق عرض مسائل النحو

تعتبر اللاطريقة أحسن طريقة للتدريس؛ أي أنّ المعلم الكفء هو ذلك الذي يختار من طرق التعليم المتاحة له الأنسب لتلاميذه حسب ظروفهم و بيئتهم و نفسيتهم.

فابن مالك هنا في هذه المنظومة نوّع بين الطرق؛ فنجده مرّة ينتقل من العام إلى الخاص وهذه تسمى الطريقة القياسية، فيذكر القاعدة ثم بعدها يأتي بمثالٍ، نحو ما جاء في قوله:

الْحَالُ وَ صْفٌ فَضْلَةٌ مُنْتَصِبُ**** مُفْهِمُ فِي حَالٍ كَفَرْداً أَذْهَبُ[31]

فعرف الحال أولاً، ثم أتى بمثالٍ عنه وهو (أذهبُ فرداً).

في حين نجده في مواضع أخرى يعتمد الطريقة الاستقرائية؛ أي الانتقال من الخاص إلى العام نحو قوله:

وَ نَحْوُ عِنْدِي دِرْهَمٌ وَلِي وَطَرْ **** مُلْتَزَمٌ فِيهِ تَقَدُّمُ الخَبَرْ[32]

فقد بدأ هنا بذكر مثالين أولا وهما (عندي درهم، لي وطر) ثم بعدها جاء بالقاعدة وهي (لزوم تقدم الخبر)أي انتقل من الجزء إلى الكل.

خاتمة:

نستنتج من خلال ما ذكرناه، أن علماء اللغة المحدثين اهتموا كثيرا بالنحو التعليمي، و إن كان هذا الأخير ليس وليد العصر الحديث بل سبق إليه بعض الأقدمين، و ما أدركناه أن النحو التعليمي هو ذلك النحو الموجه خصّيصاً للمتعلمين المبتدئين، و أن النحو العلمي هو نحوٌ موجه لأرباب التخصص و لقاصدي الغوص في كُنه النحو.

و ما وصلنا إليه أن ابن مالك من خلال منظومته هذه " الألفية" حاول حقاً أن ييسر النحو على المبتدئين؛ وهذا من خلال التزامه بشروط تساعد على تعلم النحو، فاعتمد الاختصار بعدما شعر بطول

المنظومة التي نظمها قبل الألفية، كما تخيّر اللغة السهلة و الأسلوب البسيط، وحاول أن يبتعد عن خلافات النحويين و تضارب آرائهم إلا قليلاً، و أن يصطفي لنا الأسهل والأقرب إلى الصواب، و كان يأتي بأمثلة متداولة لا تستعصي على مبتدئ و يتخيّر من المصطلحات أيسرها، ومن اللغة أسهلها إلا ما اضطرّه إليه النظم والاختصار.

و من هنا نستنتج أن ابن مالك – و رغم ما تلقّاه من انتقادات- أنه شعر بضرورة وضع نحوٍ يتناسب و يتماشى مع مستوى المتمدرسين المبتدئين، ولذلك نجد أنه سبق من خلال منظومته " الخلاصة الألفية" إلى تطبيق تلك الشروط التي دعا إليها النحو التعليمي الحديث.

الهوامش

1 د- أحمد حساني، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي و الخطاب التعليمي، مجلة ثقافات، عدد 10، ص42.

2 ينظر، عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي و تعليم اللغات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص31.

3 الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق و شرح عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1991، ج2، ص 38.

4 ينظر، محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة و النشر، مصر، ص 143-144.

ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط02، ص 76. 5

6ينظر .Design Criteria for for Pedqgogic Grammar Rules.In: Bygate M.Tonkyn, A. Williams, E.(eds) Swan.M.(1994)Grammar and the language Teacher Longman: 45-55. نقلا عن: نورة خليفة آل ثاني، النحو التعليمي وواقع تدريس اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة قطر، قسم اللغة العربية، ص45.

7 عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العلمي والنحو التعليمي و ضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، العدد 127، ص 145-146.

8 ينظر، ابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، ت: أحمد عبد الله المغربي، دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004م، ص11- 12 . و مُحَمَّد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات و الذيل عليها، ت: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ، ج03، 1974، ص 407.

9 ينظر، مجمع اللغة العربية العربية بالقاهرة، المعجم الكبير، ط02، ج01، ص 420.

صالح بلعيد، ألفية ابن مالك في الميزان، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ص09. 10

11 ممدوح عبدالرحمن، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م ، ص 07.

12 ابن مالك، الألفية، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، ص 03.

13 ابن الناظم بدر الدين مُحَمَّد؛ شرح ألفية ابن مالك، منشورات تناصر، بيروت لبنان، ج1، ص3.

14 ابن مالك، الألفية، ص 10.

15 ينظر، ممدوح عبد الرحمن، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص 267.

16 ابن مالك، الألفية، ص 66.

17 الجاحظ، البيان والتبيين ،تح: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 272.

18 عبد الرحمن ممدوح، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، ص 304.

19 ابن مالك، الألفية، ص 02.

20 يحياوي حفيظة، إسهامات نحاة المغرب و الأندلس في تأصيل الدرس النحوي العربي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011، ص 179.

ابن مالك، الألفية، ص 2107

22 ابن مالك، الألفية، ص 11.

ابن مالك، الألفية، ص 47. 23

ابن مالك، الألفية، ص49. 24

25 ابن مالك، الألفية، ص 16
26 ابن مالك، الألفية، ص 09.
27 عبد الحق لوناس، ألفية ابن مالك و تيسير النحو، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتمنغست الجزائر، مجلد7، عدد2، ص 11.
28 يحياوي حفيظة، إسهامات نحاة المغرب و الأندلس في تأصيل الدرس النحوي العربي خلال القرنين السادس و السابع الهجري، ص 133.
29 المرجع نفسه، ص 133.
ابن مالك، الألفية، 30
ابن مالك، الألفية، ص 23. 31
32 ابن مالك، الألفية، ص 10.

قائمة المصادر و المراجع

1- ابن الناظم بدر الدين مُحَمَّد؛ شرح ألفية ابن مالك، منشورات تناصر، بيروت لبنان، ج1.
2- ابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، ت: أحمد عبد الله المغربي، دار البحوث و الدراسات الإسلامية و إحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004م.
3- ابن مالك، الألفية، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان.
4- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط02 .
5- أحمد حساني، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي و الخطاب التعليمي، مجلة ثقافات، عدد 10.
6- الجاحظ، البيان والتبيين ،تح: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
7- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق و شرح عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1991، ج2.
8- صالح بلعيد، ألفية ابن مالك في الميزان، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر.
9- عبد الحق لوناس، ألفية ابن مالك و تيسير النحو، مجلة إشكالات، المركز الجامعي لتمنغست الجزائر، مجلد7، عدد2.
10- عبد الرجمن الحاج صالح، النحو العلمي والنحو التعليمي و ضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، العدد 127.
11- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي و تعليم اللغات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995،
12- مجمع اللغة العربية العربية بالقاهرة، المعجم الكبير، ط02، ج01.
13- مُحَمَّد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات و الذيل عليها، ت: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ، ج03، 1974.
14- محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة و النشر، مصر، ص 143-144.
15- ممدوح عبدالرحمن، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.
16- نورة خليفة آل ثاني، النحو التعليمي وواقع تدريس اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة قطر، قسم اللغة العربية.
17- يحياوي حفيظة، إسهامات نحاة المغرب و الأندلس في تأصيل الدرس النحوي العربي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011.
Design Criteria for for Pedqgogic Grammar Rules.In: Bygate M.Tonkyn, A. Williams, E.(eds) Swan.M.(1994)Grammar and the language Teacher Longman.